

## دور المرأة التربوي في تفسير التسنيم والمنير دراسة تحليلية مقارنة

نورداود شهاب

جامعه قم كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية فرع علوم القرآن والحديث

الدكتور علي احمد ناصح (استاذ في جامعه قم)

[aa.naseh@qom.ac.ir](mailto:aa.naseh@qom.ac.ir)

### الملخص

يتناول هذا المقال بالدراسة والتحليل دور المرأة التربوي كما ورد في تفسيرين معاصرين بارزين: تفسير "التسنيم" للعلامة عبد الله الجوادي الأملي، وتفسير "المنير" للدكتور وهبة الزحيلي. يهدف البحث إلى الكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف بين الرؤيتين التفسيريتين، من خلال تتبع الآيات القرآنية المحورية التي تناولها المفسران، وتحليل المنهجية التي اعتمدها كل منهما في استنباط الأدوار التربوية للمرأة. يعتمد البحث على المنهج التحليلي المقارن، مستقرًا النصوص التفسيرية ذات الصلة بدور المرأة في الأسرة والمجتمع. توصل البحث إلى عدة نتائج أهمها: أن كلا التفسيرين يتفقان على مركزية الأسرة كحاضنة للتربية، وأهمية البعد الأخلاقي كغاية للعملية التربوية، مع اختلاف في المنطلقات الفكرية والمنهجية. ف"التسنيم" ينطلق من أرضية فلسفية عرفانية تؤكد أن التربية البشرية هي "تيابة ووكالة" عن التربية الإلهية، مما يضفي قدسية على الدور التربوي للمرأة، بينما ينطلق "المنير" من أرضية اجتماعية فقهية تركز على تنظيم الأسرة والمجتمع وفق المقاصد الشرعية والمصالح المرسلّة. كما اختلف المفسران في فهم مفهوم "القوامة"؛ حيث قدم "المنير" تفسيراً مؤسسياً لها، بينما قدم "التسنيم" تفسيراً تكاملياً يقوم على التمايز الوظيفي الفطري. ويوصي البحث بالجمع بين عمق "التسنيم" في تأصيل القيمة والماهية، ومرونة "المنير" في تنظيم التفاصيل والتكيف مع المستجدات الاجتماعية، في إطار الوفاء للمقاصد العليا للشريعة. الكلمات المفتاحية: المرأة، الدور التربوي، تفسير التسنيم، تفسير المنير، جوادي أملي، وهبة الزحيلي.

### Abstract

The Educational Role of Women in Tafsir al-Tasnim and Tafsir al-Munir: A Comparative Analytical Study  
This research examines and analyzes the educational role of women as presented in two prominent contemporary Qur'anic exegeses: Tafsir al-Tasnim by 'Allamah 'Abdullah Jawadi Amuli, and Tafsir al-Munir by Dr. Wahbah al-Zuhayli. The study aims to reveal points of agreement and divergence between the two interpretive approaches by tracing the key Qur'anic verses addressed by both exegetes and analyzing their methodologies in deriving women's educational roles. The research employs a comparative analytical method, examining the exegetical texts related to women's role within the family and society. The findings indicate that both exegeses agree on the centrality of the family as the educational environment and the importance of the moral dimension as the ultimate goal of the educational process. However, they differ in their intellectual foundations and methodological approaches: al-Tasnim proceeds from a philosophical-mystical framework emphasizing vicarious representation of divine education, which bestows a sacred character upon women's educational role, while al-Munir proceeds from a socio-jurisprudential framework focusing on organizing family and society according to the higher objectives of Shariah and public interests. The two exegetes also differed in understanding the concept of "Qiwamah"; al-Munir presented an institutional interpretation, while al-Tasnim presented an integrative interpretation based on innate functional differentiation. The research recommends combining the depth of al-Tasnim in grounding values and essence with the flexibility of al-Munir in organizing details and adapting to social developments, within the framework of fulfilling the higher objectives of Shariah. Keywords: Women, Educational Role, Tafsir al-Tasnim, Tafsir al-Munir, Jawadi Amuli, Wahbah al-Zuhayli.

يُعدُّ التفسير الموضوعي للقرآن الكريم من أبرز المناهج التفسيرية في العصر الحديث، حيث يتجاوز التفسير التقليدي القائم على ترتيب المصحف إلى جمع الآيات ذات الصلة بقضية معينة ودراستها دراسة مترابطة متكاملة. وقد أسهم هذا المنهج في معالجة القضايا الاجتماعية المعاصرة، ومن أبرزها قضية المرأة ودورها التربوي، التي باتت تشغل حيزاً كبيراً من الفكر الإسلامي المعاصر، وذلك في سياق التحولات الحضارية والتحديات الثقافية التي تواجه الأمة الإسلامية (الرومي، ١٩٨٣، ص ٤٥؛ الخالدي، ٢٠٠٨، ص ١١٢) وتكتسب قضية دور المرأة التربوي أهميتها من كونها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية بناء الإنسان، وصياغة القيم، واستمرار الرسالة الحضارية للأمة. فالمرأة ليست مجرد فرد في المجتمع، بل هي اللبنة الأولى في تشكيل الوعي الجمعي، والأم هي المدرسة الأولى التي تنشئ الأجيال على القيم والمبادئ (القرضاوي، ٢٠٠٢، ص ٦٧). ولذلك، كان لا بد من دراسة هذا الدور في ضوء المصادر التفسيرية المعاصرة التي حاولت تقديم قراءة متوازنة للنص القرآني، تستجيب لمتطلبات العصر دون التفريط في الثوابت. تكمن أهمية هذا البحث في كونه يقدم دراسة مقارنة بين اثنين من أبرز النقايسر المعاصرة التي تناولت قضية المرأة التربوي بعمق وتحليل، وهما: تفسير "المنير" للدكتور وهبة الزحيلي، وتفسير "التسنيم" للعلامة عبد الله الجوادى الأملي. ويأتي اختيار هذين التفسيرين لعدة اعتبارات، منها: أنهما يمثلان مدرستين فكريتين مختلفتين، ف"المنير" ينتمي إلى مدرسة التفسير الاجتماعي-الفقهى السني، بينما ينتمي "التسنيم" إلى مدرسة التفسير الفلسفي-العرفاني الشيعي (الذهبي، د.ت، ج ٢، ص ٣٤٥؛ أيازي، ٢٠١٠، ص ٢٧٨). كما أنهما يعبران عن سياقين تاريخيين وثقافيين مختلفين، مما يتيح فرصة ثمينة للكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف في فهم النص القرآني. وتبرز أهمية هذا البحث أيضاً في كونه يحاول تجاوز القراءات الأحادية التي تهمش دور المرأة أو تتبالغ في تحريرها خارج الضوابط الشرعية، وذلك من خلال تقديم رؤية تركيبية تستفيد من نقاط القوة في كل تفسير، وتتجاوز نقاط الضعف المحتملة (شرف الدين، ٢٠١١، ص ٩٥). تتمثل الإشكالية الرئيسية لهذا البحث في السؤال التالي: كيف يختلف ويشتهب منهجا مفسرين معاصرين من خلفيتين فكريتين مختلفتين في معالجة قضية اجتماعية تراثية-معاصرة مثل دور المرأة التربوي؟ وينبثق من هذا السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:

١. ما الأسس المنهجية والفكرية التي يقوم عليها كل من تفسير "المنير" وتفسير "التسنيم"؟
  ٢. كيف يتعامل كل مفسر مع الآيات القرآنية المحورية المتعلقة بدور المرأة التربوي؟
  ٣. ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين التفسيرين في فهم قضايا مثل: الأسرة، والأمومة، والقوامة، وتعليم المرأة، ومشاركتها الاجتماعية؟
  ٤. ما الإسهامات التي يمكن استخلاصها من كل تفسير لبناء رؤية تربوية إسلامية معاصرة متوازنة؟
- يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يلي:

١. تحليل الإطار المنهجي والفكري لكل من تفسير "المنير" وتفسير "التسنيم" في تناول قضايا المرأة.
٢. استقراء الآيات القرآنية المحورية التي استند إليها المفسران في بناء رؤيتهما للدور التربوي للمرأة.
٣. المقارنة بين الرؤيتين التفسيريتين للكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف.
٤. استخلاص إسهامات كل تفسير في إثراء الفكر التربوي الإسلامي المعاصر.
٥. تقديم رؤية تركيبية تستفيد من نقاط القوة في التفسيرين لبناء تصور متكامل لدور المرأة التربوي.

أولاً: الإطار المنهجي والفكري للتفسيرين: دراسة تحليلية مقارنة

تمثل المنهجية التفسيرية الإطار النظري الذي يوجه المفسر في فهمه للنص القرآني واستنباطه للأحكام والمعاني. ولما كانت الرؤية التربوية لأي مفكر فرعاً عن رؤيته الكلية للإنسان والمجتمع والوجود، فإن فهم الإطار المنهجي والفكري الذي يتحرك فيه كل مفسر يعد شرطاً أساسياً لفهم رؤيته التربوية، خاصة في قضية دور المرأة التربوي التي تقع على مفترق طرق بين النص الشرعي الثابت والواقع الاجتماعي المتحول (جوادى أملي، ١٤١٦هـ، ج ١، ص ٦٧؛ الزحيلي، ١٩٩١، ج ١، ص ١٥).

الإطار المنهجي والفكري لتفسير "المنير"

١. المدرسة التفسيرية: يقع تفسير "المنير في العقيدة والشريعة والمنهج" للدكتور وهبة الزحيلي (١٩٣٢-٢٠١٥م) ضمن مدرسة التفسير الاجتماعي-الفقهى المعاصر التي ازدهرت في القرن العشرين. وقد تأثر الزحيلي في منهجه بالاتجاهات التفسيرية التي ظهرت في عصره، خاصة تلك التي دعت إلى العودة إلى القرآن لفهم قضايا العصر ومعالجة مشكلاته (الراشد، ١٤٣٤هـ، ص ٤٧).

٢. خصائص المنهج: يتسم منهج الزحيلي في تفسيره بمجموعة من الخصائص التي يمكن إجمالها فيما يلي:

أ- الوسطية والاعتدال: يسعى الزحيلي إلى تقديم فهم معتدل للشريعة، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويرفض التفسير المتشدد الذي يقف عند ظواهر النصوص دون مراعاة للسياق والمقاصد، كما يرفض التفسير المتحرر الذي يتجاوز حدود النص باسم التجديد (الزحيلي، ١٩٩١، ج ١، ص ٢٠-١٥). وهذا الموقف الوسطي يظهر جلياً في تعامله مع قضايا المرأة، حيث لا يسرف في التصديق ولا يفرط في التساهل.

ب- الاهتمام بالمقاصد والفوائد الاجتماعية: يعنى الزحيلي باستنباط الحُكم والمقاصد الاجتماعية من الآيات، وربط الأحكام بالواقع المعيش. فهو لا يكتفي ببيان الحكم الشرعي المجرد، بل يتجاوز ذلك إلى بيان الحكمة من التشريع والغاية التي يسعى إليها (الزحيلي، ١٩٨٦، ج ٢، ص ١٠٢٣). وقد انعكس هذا الاهتمام على رؤيته للدور التربوي للمرأة، حيث ربطه بمقاصد حفظ الدين وحفظ النسل وحفظ الأخلاق.

ج- المنهج التكاملي: يجمع الزحيلي في تفسيره بين عدة مناهج؛ حيث يفسر الآية لغةً، ويذكر سبب نزولها، ويعرض أقوال العلماء وإجماعاتهم واختلافاتهم، ثم يرجح الرأي الراجح دون تعصب لمذهب معين. كما يستعين بأقوال المفسرين من مختلف المذاهب الإسلامية، مما يعطي تفسيره طابعاً جامعاً وشمولياً (الزحيلي، ١٩٩١، ج ١، ص ٢٢-٢٥).

د- التركيز على بناء الأسرة والمجتمع: ينطلق الزحيلي من أن الأسرة هي اللبنة الأساسية للمجتمع الصالح، وأن صلاحها من صلاح الأمة. ولذلك، يولي اهتماماً كبيراً لآيات الأحكام المتعلقة بالأسرة، ويستنبط منها منهجاً متكاملاً للعلاقات الأسرية ولدور كل فرد فيها (الزحيلي، ١٩٩١، ج ٤، ص ٢٤٥).

٣. الأسس الفكرية: يقوم منهج الزحيلي على أسس فكرية متينة، أهمها: الاعتماد على القرآن والسنة كمصدرين أساسيين للتشريع والتفسير، والاستناد إلى أصول الفقه وقواعده في الاستنباط، ومراعاة الواقع الاجتماعي المتغير دون التفریط في الثوابت الشرعية، والانفتاح على الاجتهاد المعاصر مع احترام التراث الفقهي (الزحيلي، ١٩٨٥، ج ٧، ص ٥٢١).

ثانياً: الإطار المنهجي والفكري لتفسير "التسنيم"

١. المدرسة التفسيرية: يقع تفسير "التسنيم في تفسير القرآن الكريم" للعلامة الشيخ عبد الله الجوادى الأملي (مواليد ١٩٣٣م) ضمن مدرسة التفسير الفلسفي-العرفاني الشيعي الإمامي. وهو امتداد للمدرسة التفسيرية التي أسسها العلامة الطباطبائي في تفسيره "الميزان"، لكنه يتجاوزها في العمق الفلسفي والعرفاني (الجوادى الأملي، ١٤١٦هـ، ج ١، ص ٥-١٠).

٢. خصائص المنهج: يمكن إجمال أبرز خصائص منهج الجوادى الأملي في النقاط التالية:

أ- التأسيس التوحيدي والوجودي: ينطلق الجوادى أملي من مركزية مفهوم "التوحيد" و"الربوبية" كأساس لفهم كل شيء، بما في ذلك الأدوار الاجتماعية. فهو يرى أن الله تعالى هو "الرب" المطلق، وهو مصدر التربية والتركية الأولى، وكل تربية بشرية إنما هي نيابة عن هذه التربية الإلهية (الجوادى الأملي، ١٤١٦هـ، ج ١، ص ٦٧). هذا التأسيس يضفي قدسية وعمقاً على الدور التربوي للمرأة، ويخرجه من كونه وظيفة اجتماعية عادية إلى كونه مهمة إلهية.

ب- العمق الفلسفي والعرفاني: لا يكتفي الجوادى أملي بالمعنى الظاهري للآيات، بل يحلل المفاهيم القرآنية تحليلاً وجودياً، ويستمد المعاني من الإشارات العرفانية. وهو يربط بين التفسير الفلسفي والتفسير العرفاني والتفسير الروائي في نسق متكامل (الصادقي، ١٤٣٥هـ، ص ١١٥-١١٨). وقد انعكس هذا العمق على رؤيته لدور المرأة، حيث يبحث في الحكمة التكوينية والغاية الوجودية من خلقها وتكليفها.

ج- النظرة التكاملية للكون والإنسان: يرى الجوادى أملي أن الكون نظام متكامل تسوده وحدة الوجود والتسبيح، وأن الإنسان (ذكراً وأنثى) جزء من هذا النظام. فالرجل والمرأة عنصران متكاملان في هذا النظام وفق وظائف فطرية، وليس بينهما تقاضل في القيمة الإنسانية (الجوادى الأملي، ١٤١٦هـ، ج ١٠، ص ٣٤٥). هذا التصور التكاملي يوجه رؤيته لدور المرأة التربوي كدور تكميلي لا تبعية.

د- التركيز على التربية الإلهية: يؤكد الجوادى أملي أن التربية البشرية هي نيابة عن التربية الإلهية الأصلية. فكما أن الله هو "رب العالمين" أي مربيهم، فإن الوالدين - خاصة الأم - يقومان مقام الله في تربية الأبناء في المراحل الأولى (الجوادى الأملي، ١٤١٦هـ، ج ١٥، ص ٤٠٢). هذا المفهوم يمنح المرأة القداسة والمسؤولية العظمى في آن واحد.

٣. الأسس الفكرية: يقوم منهج الجوادى أملي على أسس فكرية عميقة، أهمها: التوحيد كمبدأ كلي حاكم على كل شيء، والقرآن كمصدر أول وأخير للمعرفة والتشريع، والسنة النبوية وأقوال أهل البيت كمصدر مفسر ومفصل للقرآن، والعقل كمصدر مستقل للمعرفة إلى جانب النقل، والعرفان والكشف كمصادر معرفية مكملة (الجوادى الأملي، ١٤١٦هـ، ج ١، ص ٤٥-٥٠؛ أيازي، ٢٠١٠، ص ٣٢٠).

المقارنة بين الإطارين

١. من حيث المدرسة التفسيرية: ينتمي "المنير" إلى مدرسة التفسير الاجتماعي-الفقهي التي تهدف إلى تنظيم المجتمع وفق الشريعة وفهم النص في ضوء الواقع، بينما ينتمي "التسنيم" إلى مدرسة التفسير الفلسفي-العرفاني التي تهدف إلى بيان موقع الإنسان في نظام الوجود الرباني وفهم النص في ضوء الحقائق الكونية الكلية (الخالدي، ٢٠٠٨، ص ١٨٠-١٨٥).

٢. من حيث منهج الاستنباط: يعتمد الزحيلي منهجاً استنباطياً فقهاً يقوم على قواعد أصول الفقه والمقاصد الشرعية، بينما يعتمد الجوادى آملي منهجاً استنباطياً فلسفياً يقوم على التحليل الوجودي والإشارات العرفانية (الحسيني الزنجاني، ١٣٩٩هـ.ش، ص ٥٥-٥٨).

٣. من حيث التركيز: يركز الزحيلي على البعد التنظيمي والمقاصدي للأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة، بينما يركز الجوادى آملي على البعد التكويني والوجودي لهذه الأحكام (مكارم الشيرازي، ٢٠٠٠، ج ١، ص ٢٥-٢٨).

٤. من حيث المرجعية: يعتمد الزحيلي بشكل أساسي على التراث الفقهي السني والمذاهب الأربعة، مع انفتاح على الاجتهاد المعاصر، بينما يعتمد الجوادى آملي على التراث الفلسفي والعرفاني الشيعي مع قراءة معاصرة متجددة (بيروز فر وناجي صدره، ١٤٣١هـ، ص ٤٥-٤٧) يمكن القول إن "المنير" ينطلق من أرضية اجتماعية فقهيّة تهدف إلى تنظيم المجتمع وفق الشريعة، ويركز على سؤال "كيف" تنظم العلاقات والأدوار، بينما ينطلق "التسنيم" من أرضية وجودية كلامية تهدف إلى بيان موقع الإنسان في نظام الوجود الرباني، ويركز على سؤال "لماذا" خلق الإنسان بهذه الصفة وهذا الدور. هذا الاختلاف في المنطلق والمنهج ينعكس بشكل واضح على رؤية كل منهما للدور التربوي للمرأة، كما سيتضح في المباحث اللاحقة. ثانياً: أوجه التقارب بين التفسيرين: الأسرة والأخلاق كأرضية مشتركة

على الرغم من اختلاف المنطلقات الفكرية والمنهجية بين التفسيرين، كما هو موضح أعلاه، فإنهما يتقاطعان بشكل لافت في نقطتين أساسيتين هما: التركيز على مؤسسة الأسرة كحاضنة أساسية للتربية، والاهتمام بالبعد الأخلاقي كجوهر وغاية للعملية التربوية. هذا التقارب يعكس - في رأي الباحث - وحدة المصدر القرآني الذي يستمد منه المفسران رؤاهما، ووحدة القضايا والمقاصد الكبرى التي يسعى الإسلام إلى تحقيقها (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ١، ص ٥٠-٥٥).

أولاً: التركيز المحوري على الأسرة كالبينة الطبيعية للتربية

١. في تفسير "المنير": يعتبر الزحيلي الأسرة "النواة الأولى للمجتمع" وأي إخلال بوظائفها يؤدي إلى تفكك المجتمع (الزحيلي، ١٩٩١، ج ٥، ص ١٩٨). وعند تفسيره آيات العلاقات الأسرية (كآيات سورة النساء والطلاق)، يكرر هذا المعنى ويستنبط منه أن الحفاظ على كيان الأسرة هو مقصد شرعي عظيم تتدرج تحته مقاصد أخرى كحفظ النسل وحفظ الأخلاق. فالأسرة عنده ليست مجرد وحدة سكنية، بل هي نظام متكامل من الحقوق والواجبات والعلاقات التي تسعى إلى تحقيق السعادة الدنيوية والأخروية لأفرادها (الزحيلي، ١٩٩١، ج ٤، ص ٢٦٠) أما دور المرأة التربوي داخل الأسرة فهو دور محوري، فهي "المدرسة الأولى" التي يتعلم فيها الطفل المبادئ والقيم الأولى. يرى الزحيلي أن تربية الأبناء تربية صالحة واجب شرعي، وأن المرأة - بحكم موقعها في الأسرة وملازمتها للطفل في مراحل تكوينه الأولى - تتحمل قسطاً وافراً من هذا الواجب، دون أن يعني ذلك إقصاء دور الرجل أو تحميلها المسؤولية وحدها (الزحيلي، ١٩٨٥، ج ٧، ص ٥٢١). وهو لا يتعامل مع الأمومة بوصفها وظيفة بيولوجية محضة، بل يراها رسالة تربوية ذات أبعاد حضارية. ففي تفسيره آيات الحمل والرضاع (مثل البقرة: ٢٣٣)، يربط بين معاناة الأم الجسدية ودورها في تشكيل شخصية الجيل القادم، معتبراً أن هذا الدور يؤسس لاستقرار المجتمع بأسره (الزحيلي، ١٩٩١، ج ١٥، ص ١٩٢).

٢. في تفسير "التسنيم": يرى الجوادى آملي الأسرة "مؤسسة تكوينية ربانية" وليست مجرد عقد اجتماعي أو اتفاقية يمكن فسخها بسهولة. فهي المحل الطبيعي لتحقيق "السكن" و"المودة" و"الرحمة" كما ورد في قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} (الروم: ٢١). وهذه الفضائل الثلاثة - السكن والمودة والرحمة - هي التي تشكل المناخ العاطفي والأخلاقي الصحي لأي تربية سليمة (الجوادى الأملي، ١٤١٦هـ، ج ١٦، ص ١٧٨-١٨١) أما دور المرأة كأم وزوجة، فهو دور "تيابة إلهية" في حفظ واستمرار هذه المؤسسة المقدسة. فكما أن الله هو "الرب" المربي، فإن الأم هي النائب عن الله في تربية الإنسان في مراحلها التكوينية الأولى. يقول الجوادى آملي: "فكما أن الأنبياء وسطاء في تبليغ الوحي، فالأم وسطاء في تبليغ لغة الحب والحنان الأولية، وكلاهما من مشكاة النبوة العامة" (الجوادى الأملي، ٢٠٠٥، ص ١١٨).

هذا المفهوم يرفع من قيمة العمل التربوي للمرأة، ويجعلها تشعر بعظمة مسؤوليتها وقديسية مهمتها (الجوادى الأملي، ١٤١٦هـ، ج ٢٢، ص ٢٨٨).  
٣. التحليل المقارن: يتفق التفسيران على أن الأسرة هي الحاضنة الرئيسية للتربية، وأن المرأة - بوصفها أمّاً وزوجة - هي حجر الزاوية في هذه المؤسسة. لكن الفرق بينهما يكمن في التالي:

- "المنير" يبرز أهمية الأسرة ودور المرأة فيها من باب المقاصد الاجتماعية والشرعية، أي من منطلق أن استقرار المجتمع وحفظ النظام العام يتطلبان أسرة متماسكة ودوراً تربوياً فاعلاً للمرأة. فالزحيلي يفكر بمنطق الفقيه والمقاصدي الذي يبحث عن الغايات العملية للتشريع (الزحيلي، ١٩٩١، ج ٢٢، ص ٦٧؛ القرضاوي، ١٩٩٥، ص ٢٥١).

- "التسليم" يبرز أهمية الأسرة ودور المرأة فيها من باب الحكمة التكوينية والنيابة الربانية، أي من منطلق أن نظام الوجود والحكمة الإلهية في الخلق تقتضيان أن تكون الأسرة هي المحض الأول وأن تكون المرأة هي المربية الأولى. فالجوادى أملي يفكر بمنطق الفيلسوف والعرفاني الذي يبحث عن الغايات الوجودية والكونية للتشريع (الجوادى الأملي، ١٤١٦ هـ، ج ١، ص ١٩٨-٢٠٠).

ثانياً: الاهتمام بالبعد الأخلاقي والروحي كغاية التربية

١. في تفسير "المنير": عند تفسيره لآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} (التحريم: ٦)، يؤكد الزحيلي أن مسؤولية الرجل لا تقتصر على الإنفاق المادي، بل تشمل "التأديب والتربية والتعليم" لأفراد أسرته. ثم يبين أن هذه المسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة، وأن المرأة شريكة في هذه المسؤولية تجاه أبنائها بشكل خاص (الزحيلي، ١٩٩١، ج ٢٨، ص ٦٦). ويستنتج من الآيات والأحاديث الواردة في هذا المجال أن الغاية من تربية الأمهات هي إعداد "جيل صالح" يتخلق بخلق الإسلام، قوي الإيمان، نافع لأتمته. فهو يربط التربية الخلقية باستقرار المجتمع وقوته وصلاحه (الزحيلي، ١٩٩١، ج ١٥، ص ٣١٢). كما يؤكد الزحيلي في تفسيره لآيات برّ الوالدين (الإسراء: ٢٣، لقمان: ١٤) أن الأم تمثل الركيزة النفسية والقيمية الأولى في حياة الطفل. فالحمل والرضاعة والتربية المبكرة تصنع شخصية الإنسان قبل دخوله أي مؤسسة تعليمية. ويشير إلى أن التربية الإسلامية لا تقوم على التوجيه العقلي فقط، بل تعتمد على الاحتواء العاطفي والإشباع النفسي، وهو ما جعل الشريعة تؤكد على حق الأم في البرّ والرعاية (الزحيلي، ١٩٩١، ج ١٥، ص ٢١٠).

٢. في تفسير "التسليم": يجعل الجوادى أملي "التخلق بالأخلاق الإلهية" غاية وجود الإنسان. فهو يرى أن الهدف من خلق الإنسان ليس مجرد العبادة بالمعنى الطقوسي، بل الوصول إلى مرتبة التحلي بالأخلاق الإلهية والتخلق بها (الجوادى الأملي، ١٤١٦ هـ، ج ١٨، ص ٨٩). وعندما يتحدث عن دور المرأة في آية: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} (لقمان: ١٤)، لا يذكر فقط المشقة الجسدية التي تعانيها الأم، بل يرى أن تضحيات الأم هي "درس عملي عالٍ في الأخلاق" يتلقاه الطفل عن طريق الوجدان قبل العقل، درس في الإيثار والصبر والحب غير المشروط (الجوادى الأملي، ١٤١٦ هـ، ج ١٥، ص ٤٠٢-٤٠٥) فالمرأة، بحسب هذا التحليل العرفاني، لا تربي الطفل بالكلمات والتوجيهات المباشرة فقط، بل تربيته "بوجودها" وبأخلاقها وسلوكها. مشقة الحمل {وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} هي عملية "تخلق وتربية متبادلة"، تتخلق فيها نفس الأم بالصبر والتحمل كما يتخلق الجنين جسدياً. وهكذا تتحول الأمومة من وظيفة بيولوجية إلى مدرسة أخلاقية (الجوادى الأملي، ١٤١٦ هـ، ج ١٥، ص ٤٠٤).  
٣. التحليل المقارن: يتفق التفسيران على أن الهدف الأسمى للتربية هو بناء الإنسان الأخلاقي الصالح المتخلق بالفضائل. لكن الفرق بينهما يكمن في التالي:

- المنير يركز على الأخلاق بوصفها ضماناً لصالح المجتمع واستقامة نظامه، ووسيلة لإنتاج مواطن صالح نافع لأتمته. فالزحيلي يفكر بلغة المصلحة الاجتماعية والغائية العملية: لماذا نربي؟ لكي نعد جيلاً صالحاً يحافظ على المجتمع ويقوده نحو التقدم (الزحيلي، ١٩٩١، ج ١٥، ص ٣١٢؛ عودة، ٢٠٠٠، ص ٢٥٨).

- التسليم يركز على الأخلاق بوصفها تجلياً للكمال الإنساني وتحقيقاً للنيابة عن الله في الأرض. فالجوادى أملي يفكر بلغة الكمال الوجودي والغائية الروحية: لماذا نربي؟ لكي نحقق خلافة الإنسان عن الله في الأرض، ونصل به إلى مقام العبودية الكاملة والتخلق بالأخلاق الإلهية (الجوادى الأملي، ١٤١٦ هـ، ج ١، ص ٢٠٥؛ الجوادى الأملي، ٢٠٠٥، ص ١٤٥). خلاصة القول في أوجه التقارب: يمكن القول إن كلاً من "المنير" و"التسليم" يقدمان رؤية متكاملة لدور المرأة التربوي، وإن اختلفت منطلقاتهما. فكلاهما يرى في الأسرة المؤسسة التربوية الأولى، وفي المرأة حجر الزاوية فيها، وفي الأخلاق الغاية الكبرى للعملية التربوية. هذا التقارب يعكس وحدة المصدر القرآني، ويؤكد أن التفسير المعاصر - بتنوع مدارسه ومناهجه - يمكن أن يلتقي على قضايا جوهرية تتعلق بالإنسان والمجتمع.

ثالثاً: أوجه الاختلاف بين التفسيرين: دراسة تحليلية معمقة

تكمّن أبرز نقطة افتراق بين الرؤيتين التفسيريتين للدور التربوي للمرأة في درجة الانفتاح على السياق الاجتماعي والمرجعيات التفسيرية المعتمدة، وهو ما ينعكس بشكل جلي في ثلاث قضايا محورية: مفهوم "القوامة"، ومدى الاستجابة للمتغيرات الاجتماعية، والمرجعيات التفسيرية للدور التربوي. أولاً: الاختلاف في فهم مفهوم "القوامة" وتفسيرها

١. تفسير "المنير": القوامة كإدارة أسرة مؤسسية يقدم الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره "المنير" قراءة مؤسسية واضحة لمفهوم القوامة المستفاد من قوله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} (النساء: ٣٤). يرى الزحيلي أن القوامة تمثل "رئاسة الأسرة وقيادتها" الموكلة إلى الرجل، مستنداً في ذلك إلى سببين رئيسيين: الأول: التفضيل الإلهي الذي جعل في الرجال من الخصائص ما يؤهلهم للقيادة، والثاني: ما يتحملة الرجل من أعباء مالية تتمثل في المهر والنفقة والحماية (الزحيلي، ١٩٩٨، ج ٥، ص ٤٤-٤٦) يؤكد الزحيلي أن هذا الفهم للقوامة لا يعني انتقاصاً من شأن المرأة أو الحط من قدرها، بل هو مجرد توزيع للأدوار يضمن استقرار الأسرة وعدم تضارب القيادة فيها. فالقوامة عنده هي آلية تنظيمية ضرورية، وهي مقيدة بالشرع والمعروف، وليست سلطة مطلقة. ويفتح الزحيلي الباب أمام مشاركة المرأة في الرأي والمشورة، بل يوجب ذلك في كثير من الأحيان، لكن في إطار هذا النظام التنظيمي الذي يضع الرجل كمسؤول أخير عن الأسرة (الزحيلي، ١٩٩٨، ج ٥، ص ٤٧).

٢. تفسير "التسنيم": القوامة كتمايز وظيفي تكاملي في المقابل، يقدم العلامة عبد الله الجوادى الأملي في تفسيره "التسنيم" قراءة تكوينية مختلفة لمفهوم القوامة. فهو لا ينفي الجانب التنظيمي للقوامة، لكنه يضعه في سياق أوسع وأعمق. القوامة عنده هي "قيام بمطالبات التربية والرعاية" الناشئة من "التمايز الوظيفي الفطري" بين الجنسين في دائرة الأسرة (الجوادى الأملي، ١٣٨٢ش، ج ٨، ص ٤٥٥). يستخدم جوادى أملي تشبيهاً عضوياً لتوضيح رؤيته، حيث يشبه العلاقة بين الرجل والمرأة في إطار القوامة بتكامل أعضاء الجسد الواحد. فالرأس (الرجل) يقوم بتوجيه الجسد وحمايته، والقلب (المرأة) يقوم بتغذية المشاعر وإضفاء الحياة على الجسد. كليهما ضروري لأداء الجسد وظيفته، وعدم عمل أحدهما يعطل الكل. هذا التشبيه يحاول تجريد مفهوم القوامة من أي دلالة تسلطية أو هرمية، وتحويله إلى مفهوم تعاوني تكاملي (الجوادى الأملي، ١٣٨٢ش، ج ٨، ص ٤٥٦-٤٥٧).

٣. التحليل المقارن يكشف التحليل المقارن بين التفسيرين أن "المنير" أكثر صراحة في قبول البنية التنظيمية الهرمية كضرورة اجتماعية، مستنداً إلى الفقه والتراث التفسيري السني. بينما يسعى "التسنيم" إلى تأويل البنية الهرمية لتصبح بنية تكامل وظيفي، مستنداً إلى فلسفة في الخلق والتكوين، مما يجعل الصورة أكثر مساواة روحية (الزحيلي، ١٩٨٦، ج ٢، ص ١٠٢٣؛ الجوادى الأملي، ٢٠٠٥، ص ١١٨). هذا الاختلاف في التفسير يعكس اختلافاً أعمق في الرؤية للعلاقات الإنسانية داخل الأسرة، حيث يميل المنير إلى التنظيم والتوزيع الواضح للمسؤوليات، بينما يميل التسنيم إلى التكامل العضوي الذي يذيب الحدود الهرمية.

ثانياً: الاختلاف في مدى الاستجابة للمتغيرات الاجتماعية

١. تفسير "المنير": مرونة فقهية وتفاعل براغماتي مع العصر يتعامل وهبة الزحيلي مع قضايا عمل المرأة وتعليمها العالي بمرونة فقهية واضحة. فهو يجوز عمل المرأة وخروجها للتعليم، بل ويشجع على ذلك، مع وضع شرطين أساسيين: الأول: عدم التفريط بالواجب الأساسي وهو رعاية البيت وتربية الأولاد، والثاني: التقيد بالضوابط الشرعية من حشمة واختلاط (الزحيلي، ١٩٩٨، ج ٤، ص ٢٦٠-٢٦٢) يربط الزحيلي الإذن بالعمل بالحاجة الاجتماعية أو الشخصية، ويحذر من التقليد الأعمى للمجتمعات الأخرى. فهو يرفض النموذج الغربي الذي قد يؤدي إلى تفكك الأسرة، كما يرفض النموذج التقليدي الجامد الذي يحبس المرأة في البيت. يسعى الزحيلي إلى تقديم "طريق ثالث" يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين تمكين المرأة وحماية الأسرة (الزحيلي، ١٩٩٨، ج ٤، ص ٢٦٣).

٢. تفسير "التسنيم": الأولويات الوجودية والحفاظ على الجوهر يتعامل جوادى أملي مع القضية من زاوية مختلفة جذرياً. فهو لا يحرم عمل المرأة أو تعليمها العالي، لكن نقاشه لا يدور حول "الجواز الفقهي" بقدر ما يدور حول "الأولوية الوجودية". فمهمة المرأة التربوية والأسرية هي وظيفتها الأساسية والماهوية في نظام الخلق، وهي مهمة جلييلة لا تقل قدسية عن أي دور اجتماعي آخر (الجوادى الأملي، ٢٠٠٥، ص ١٥٠-١٥٥). يؤكد جوادى أملي أن أي نشاط خارجي للمرأة يجب ألا يصطدم بهذه الوظيفة الأصلية أو يجعلها تابعة له. فالخروج للعمل أو التعليم يجب أن يكون في إطار لا يخل بالدور التربوي الأساسي، وأن يكون الهدف منه خدمة المجتمع دون التضحية بالأسرة. يرى جوادى أملي أن السياق الاجتماعي الحديث (ضغوط العمل، ثقافة الاستهلاك) قد يسبب "اغتراباً" للمرأة عن فطرتها ووظيفتها الحقيقية (الجوادى الأملي، ٢٠٠٥، ص ١٥٢).

٣. التحليل المقارن يظهر "المنير" تفاعلاً مباشراً وبرامغماً مع متطلبات العصر، ويحاول تفسير النص ليتسع لها ضمن ضوابط واضحة. بينما يظهر "التسنيم" توجساً فلسفياً من إملاءات العصر، ويحاول تذكير المرأة بجوهرها ووظيفتها الكونية كمنطلق لأي تفاعل مع السياق الاجتماعي.

يمكن القول إن "المنير" يجب على سؤال "كيف ننظم مشاركة المرأة في المجتمع؟"، بينما يجب "التسليم" على سؤال "لماذا تشارك المرأة ومتى يكون ذلك مناسباً؟".

ثالثاً: الاختلاف في المرجعية التفسيرية للدور التربوي

١. "المنير": مرجعية المقاصد والمصالح الاجتماعية يستند وهبة الزحيلي في تفسيره للدور التربوي للمرأة إلى مرجعية المقاصد الشرعية والمصالح الاجتماعية. فهو يبرز أهمية الأمومة والتربية انطلاقاً من المصلحة المثبتة للأسرة والمجتمع، وإلى السنة النبوية التي رغبت في تربية النساء الصالحات. حجته غالباً ما تكون اجتماعية-تربوية، كما في قوله: "الأم المثقفة تربي أجيالاً أفضل، والمجتمع المتقدم هو المجتمع الذي يعنى بتعليم بناته" (الزحيلي، ١٩٩٨، ج ١٥، ص ٢١٠) هذه المرجعية تجعل من تفسير "المنير" تفسيراً موجهاً نحو التطبيق العملي والإصلاح الاجتماعي، حيث تُفهم النصوص في ضوء ما تحققه من مصالح وما تدفعه من مفاصد في الواقع المعاش (الزحيلي، ١٩٨٦، ج ١، ص ١٥-٢٠).

٢. "التسليم": مرجعية الحكمة التكوينية والنيابة الإلهية

في المقابل، يستند جوادى أملي إلى مرجعية مختلفة تماماً، هي الحكمة التكوينية والنيابة الإلهية. فهو ينطلق من فلسفة الخلق وعلم الأنتروبولوجيا القرآنية ليؤسس لدور المرأة التربوي. حجته غالباً ما تكون وجودية-فلسفية، كما في قوله: "الأمومة نيابة عن الربوبية، وهي سر استمرار الوجود الإنساني السوي" (الجوادى الأملي، ٢٠٠٥، ص ١١٨) هذه المرجعية تجعل من تفسير "التسليم" تفسيراً تأصيلياً يبحث عن المعاني العميقة والغايات الوجودية للأدوار التربوية، قبل البحث عن تطبيقاتها العملية (الجوادى الأملي، ١٣٨٢، ج ١، ص ٦٧) يمكن القول إن الاختلافات بين التفسيرين في هذه القضايا الثلاث تعود في جوهرها إلى اختلاف المنطلقات الفكرية والمنهجية. ف"المنير" ينطلق من همّ إصلاحي-اجتماعي يهدف إلى تنظيم واقع المرأة المسلمة في ضوء المقاصد الشرعية، مما يجعله أكثر مرونة واستجابة للمتغيرات. أما "التسليم" فينطلق من همّ معرفي-وجودي يهدف إلى تأصيل دور المرأة في نظام الخلق، مما يجعله أكثر تركيزاً على الثوابت والجوهر، وأكثر توجساً من المظاهر الاجتماعية الحديثة. وكلا الرؤيتين تثيران الفكر الإسلامي وتقدمان إسهامات قيمة لفهم دور المرأة التربوي، وإن اختلفت أدواتها ومرجعياتها (الزحيلي، ١٩٨٥، ج ٧، ص ٥٢١؛ الجوادى الأملي، ١٣٨٢، ج ٨، ص ٤٥٨).

رابعاً: تحليل الآيات المحورية في التفسيرين تعد الآيات القرآنية المصدر الأساس الذي ينطلق منه المفسرون في بناء رؤاهم حول قضية المرأة ودورها التربوي. وفي هذا الإطار، يقدم تفسيراً "التسليم" للعلامة جوادى الأملي و"المنير" للدكتور وهبة الزحيلي قراءتين متميزتين لهذه الآيات، تعكسان اختلاف المناهج والمرجعيات الفكرية بين المفسرين. تهدف هذه الدراسة التفصيلية إلى تحليل أهم الآيات المحورية التي تناولها المفسران، مع التركيز على الكشف عن الدلالات التربوية المستنبطة منها، والمنهجية التي اعتمدها كل مفسر في مقاربة النص القرآني.

أولاً: آية التكريم الإنساني - {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (الإسراء: ٧٠)

١. قراءة التسليم: التكريم كمنحة وجودية يقف جوادى أملي عند هذه الآية وقفة مطولة، رافضاً القراءة السطحية التي تختزل التكريم في منح مزايا مادية أو اجتماعية عابرة. يذهب إلى أن التكريم في الآية هو "منحة وجودية" أو "هبة ذاتية" أودعها الله في جوهر الإنسان بوصفه إنساناً، قبل أي اعتبارات عرقية أو جنسية أو اجتماعية (الجوادى الأملي، التسليم، ج ١٣، ص ٢٨٩-٢٩١) يؤكد جوادى أملي أن هذا التكريم سابق على أي عمل أو اكتساب، فهو مرتبط بالذات الإنسانية بمجرد تحققها. ويستند في ذلك إلى رؤية فلسفية ترى أن "الوجود" هو أعلى مرتبة من الخير، وكلما كان الوجود أقوى وأكمل، كان التكريم أعظم. والإنسان - ذكراً وأنثى - حائز على وجود روحي مجرد إلى جانب وجوده المادي، وهو ما يميزه عن سائر المخلوقات (الجوادى الأملي، التسليم، ج ١٣، ص ٢٩٢) من هذه القراءة، يستنتج جوادى أملي أن التكريم الإلهي يشمل الرجل والمرأة على حد سواء، دون أي تمييز. وهذا التكريم هو الأساس الذي تبنى عليه جميع الحقوق والمسؤوليات، بما فيها مسؤولية التربية. فالمكرم لا يمكن أن يكون أداة سلبية أو تابعاً محضاً، بل هو فاعل مكلف ومخاطب بتكاليف التربية والعمران (الجوادى الأملي، المرأة في آينة جلال وجمال، ص ٤٥). الدلالة التربوية في التسليم: من هذا البيان، يستنتج جوادى أملي أن الكرامة الإنسانية الفطرية هي الأساس الذي تبنى عليه جميع الحقوق والواجبات. وبالتالي، فإن المرأة، باعتبارها إنساناً مكرمًا، تشارك الرجل في هذه الكرامة الأصلية بشكل مطلق. وهذا يعني أن أي دور تُسند إليها، بما فيه الدور التربوي، يجب أن ينطلق من احترام هذه الكرامة، وأن يكون وسيلة لتعزيزها وليس للتقليل منها (الجوادى الأملي، التسليم، ج ١٣، ص ٣٠٥).

٢. قراءة المنير: التكريم كأساس للمساواة في التكليف

يستدل الزحيلي بهذه الآية لتأكيد المساواة الجوهرية بين الرجل والمرأة في الإنسانية والكرامة والقدرة على التكليف. يعلق على الآية مؤكداً أن خلق الجنسين من أصل واحد يدل على المساواة في الإنسانية والكرامة، وأن التفاضل إنما يكون بالتقوى والعمل الصالح، وليس بكون الإنسان ذكراً أو

أنثى (الزحيلي، التفسير المنير، ج١٥، ص٤٥). يؤكد الزحيلي أن الآية تضع الأساس المتين لمساواة المرأة بالرجل في الأصل الإنساني المشترك، مما يستلزم بالضرورة مساواتها في الحقوق والواجبات الأساسية. ومن أهم هذه الحقوق: حق التعلم والتربية، وحق المشاركة في بناء المجتمع (الزحيلي، التفسير المنير، ج١٥، ص٤٧). ويستنتج الزحيلي من ذلك أن تربية المرأة وتعلمها ليس منحة من الرجل أو فضلاً منه، بل هو حق أصيل لها يستمد من هذه المساواة الخلقية التي قررها القرآن. فالمرأة، مثل الرجل تماماً، مكلفة شرعاً بفهم دينها والعمل به، وهذا لا يمكن أن يتحقق بدون تعليم وتربية (الزحيلي، التفسير المنير، ج١٥، ص٥٠).

**الدلالة التربوية في المنير:** يضع الزحيلي هذه الآية كأساس لرفض أي تصور دوني للمرأة، ويرى أن إعادة تأسيس مكانة المرأة الشرعية يبدأ من التأكيد على هذه المساواة في الأصل الإنساني. فتربية المرأة ليست ترفاً أو كمالاً، بل هي ضرورة شرعية لتمكينها من القيام بواجباتها الدينية والدنيوية (الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ج٢، ص١٠٢٣).

ثانياً: آية الوصية بالوالدين - {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} (لقمان: ١٤)

#### ١. قراءة التسنيم: الأمومة كمدرسة أخلاقية أولى

يحلل جوادى آملى هذه الآية تحليلاً عميقاً، مبيناً أن "الوهن" ليس ضعفاً عضوياً فحسب، بل هو تعبير عن بذل الجهد والتضحيات الجسدية والنفسية المتتالية في مراحل الحمل والوضع والرضاع. يلفت الانتباه إلى أن الواو في "وهناً على وهن" هي واو الحال، مما يفيد استمرار المشقة وتجدها في كل مرحلة من مراحل الحمل (الجوادى الآملى، التسنيم، ج١٥، ص٤٠٢-٤٠٥). يؤكد جوادى آملى أن هذه المرحلة ليست بيولوجية محضة، بل هي "المرحلة التربوية التأسيسية الأولى"، حيث تقدم الأم درساً عملياً في العطاء دون مقابل، والصبر على المشقة، والحب غير المشروط. دور الأم هنا هو دور "المربي بالوجود"، فهي تحمل وترضع وترعى، وهذا كله جزء من عملية التكوين والتربية الروحية والعاطفية قبل أن تبدأ مرحلة التلقين اللفظي (الجوادى الآملى، التسنيم، ج١٥، ص٤٠٦). في التحليل العرفاني لجوادى آملى، مشقة الحمل والرضاع هي عملية "تخلق وتربية متبادلة"، تتخلق فيها نفس الأم بالصبر والعطاء كما يتخلق الجنين جسدياً. فالطفل لا يتلقى من أمه الغذاء المادي فقط، بل يتلقى منها أول دروسه في الوجود: درس الأمان، ودرس الحب، ودرس التضحية (الجوادى الآملى، المرأة في آينة جلال وجمال، ص١١٨).

**الدلالة التربوية في التسنيم:** يتحول البيان القرآني هنا إلى درس أخلاقي عميق. فالتوصية بالوالدين، وخاصة الأم، ليست مجرد دين مادي يمكن سداه، بل هي اعتراف بقيمة العطاء المتواصل والتضحية الجسدية والنفسية. الدور التربوي للمرأة كأم يبدأ من هذه المرحلة التكوينية، حيث تقدم أول درس عملي في "العطاء بلا مقابل" و"الصبر على المشقة". وهذا يجعل من الأمومة فضيلة أخلاقية رفيعة، وليس مجرد وظيفة بيولوجية محضة (الجوادى الآملى، التسنيم، ج١٥، ص٤١٠).

٢. **قراءة المنير:** الأمومة كركيزة نفسية وقيمية يفسر الزحيلي هذه الآية على أن تخصيص الوالدين بالإحسان بعد توحيد الله مباشرة دليل على عظم أثرهما التربوي في حياة الإنسان. ويؤكد أن الأم تتقدم في هذا المجال بشكل خاص، لما تتحمله من أعباء الحمل والرضاعة والرعاية النفسية، فهي الأكثر احتكاكاً بالطفل في مراحل التكوين الأولى (الزحيلي، التفسير المنير، ج٢١، ص٧٨). يشير الزحيلي إلى أن التربية الإسلامية لا تقتصر على التعليم النظري أو التوجيه العقلي، بل تبدأ بالرحمة والاحتواء والإشباع العاطفي. وهذه العناصر تتجسد بصورة أوضح في دور الأم، التي تكون أقدر الناس على توفير هذه الاحتياجات النفسية الأساسية للطفل (الزحيلي، التفسير المنير، ج٢١، ص٨٠). ويرفض الزحيلي اختزال الأمومة في بعدها البيولوجي فقط، مؤكداً أن الأم تمثل الركيزة النفسية والقيمية الأولى في حياة الطفل. فالحمل والرضاعة والتربية المبكرة تصنع شخصية الإنسان قبل دخوله أي مؤسسة تعليمية، وهذا ما يفسر اهتمام الإسلام البالغ ببر الوالدين، وخاصة الأم (الزحيلي، التفسير المنير، ج٢١، ص٨٥).

**الدلالة التربوية في المنير:** يضع الزحيلي هذه الآية كأساس لفهم مركزية الأم في العملية التربوية. فالتربية الأسرية، بقيادة الأم، هي التي تشكل الضمير الديني والأخلاقي للطفل. وأي إخلال بهذا الدور أو تهميش له يؤدي إلى خلل في البناء النفسي للأبناء، وبالتالي إلى خلل في المجتمع ككل (الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج٧، ص٥٢١).

ثالثاً: آية السكن والمودة - {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} (الروم: ٢١)

١. **قراءة التسنيم:** المرأة كمصدر للاستقرار الأسري يشرح جوادى آملى هذه الآية شرحاً وافياً، محلاً للكلمات المحورية فيها. فيرى أن "السكن" يعني الاستقرار النفسي والاطمئنان القلبي، و"البيها" تدل على الانجذاب والالتفاف العاطفي نحو الزوجة كملاد آمن. و"المودة" هي الحب الفعال الإرادي، وهي أعمق من المحبة الشعورية العابرة. و"الرحمة" هي العطف الذي يدفع إلى الإحسان، وهي تتجاوز العدل إلى الإيثار والتسامح (الجوادى الآملى، التسنيم، ج١٦، ص١٧٨-١٨١). يؤكد جوادى آملى أن هذه المقومات الثلاثة - السكن والمودة والرحمة - هي التي تشكل

"المناخ العاطفي والأخلاقي الصحي" لتربية الأبناء. فالطفل الذي ينشأ في جو تسوده المودة والرحمة، يتعلم الثقة بالنفس، والعطف على الآخرين، والتعاون مع الجماعة. وبالتالي، فإن دور الزوجة التربوي هو دور "المهندسة الداخلية" لبيئة الأسرة، فهي المساهم الرئيس في خلق هذه الأجواء (الجوادي الأملي، التسنيم، ج ١٦، ص ١٨٥).

الدلالة التربوية في التسنيم: يبني جوادي أملي من هذا التحليل نموذجاً أخلاقياً للعلاقة الأسرية. دور المرأة التربوي هنا لا ينفصل عن كونها مصدرراً للسكن والمودة والرحمة. فهي ليست مجرد مستقبلة للأمر، بل هي فاعلة في بث المودة وتوفير السكن وتطبيق الرحمة في التعامل مع الزوج والأبناء. استقرار الأسرة العاطفي، الذي تتحمل المرأة جزءاً كبيراً من مسؤوليته، هو الشرط الأساسي لنمو الأبناء نمواً سليماً (الجوادي الأملي، التسنيم، ج ١٦، ص ١٩٠).

## ٢. قراءة المنير: المعاشرة بالمعروف كأساس للعلاقة الزوجية

يفسر الزحيلي مصطلح "المعاشرة بالمعروف" الوارد في آية {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} (النساء: ١٩) تفسيراً شاملاً يتضمن الحقوق المتبادلة بين الزوجين. ومن أهم هذه الحقوق: حق المرأة في التربية والتعليم، الذي يمكنها من فهم حقوقها وواجباتها، ويجعل العلاقة قائمة على التفاهم والحوار، لا على الاستبداد والإملاء (الزحيلي، التفسير المنير، ج ٥، ص ٤٤-٤٦). كما يشير الزحيلي إلى أن تشبيه الزوجين باللباس في آية {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} (البقرة: ١٨٧) يحمل دلالات تربوية عميقة. فاللباس يحقق للإنسان ثلاثة أمور: الستر والعفاف، والزينة والكمال، والملاصقة والقرب. وهذه كلها عناصر ضرورية لبناء علاقة زوجية سليمة، تتعكس إيجاباً على تربية الأبناء (الزحيلي، التفسير المنير، ج ٢، ص ٢٣٣). الدلالة التربوية في المنير: يضع الزحيلي هذه الآيات كأساس لفهم أن العلاقة الزوجية في الإسلام ليست علاقة تسلط وهيمنة، بل هي علاقة تكامل وتعاون. والمرأة في هذه العلاقة ليست مجرد متلقية للأوامر، بل هي شريك فاعل في بناء الأسرة وتربية الأبناء. وهذا يستدعي بالضرورة أن تكون المرأة متعلمة واعية، قادرة على فهم حقوقها وواجباتها، والمشاركة في اتخاذ القرارات الأسرية (الزحيلي، التفسير المنير، ج ٥، ص ٥٠).

رابعاً: آية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (التوبة: ٧١)

## قراءة المنير: المرأة شريكة في المسؤولية التربوية العامة

يفسر الزحيلي هذه الآية على أنها تؤسس لمفهوم الشراكة التربوية بين الجنسين. فالولاية الواردة في الآية لا تقتصر على النصر السياسية أو الاجتماعية، بل تشمل الولاية التربوية القيمية، التي تتجلى في التعليم والتوجيه والإرشاد، والمشاركة في بناء الوعي الديني والأخلاقي للمجتمع (الزحيلي، التفسير المنير، ج ١٠، ص ١٢٤). يشرح رشيد رضا - تلميذ محمد عبده ومكمل تفسير المنار - هذه الآية قائلاً: "اشترك المؤمن والمؤمنات في هذه الفروض الكفائية يدل على أن للمرأة حقاً وعملاً في إصلاح المجتمع، كما لها حق وعمل في بيتها" (رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١٠، ص ٥٠٢). ثم يربط هذا الدور الاجتماعي الإصلاحي بدورها التربوي مباشرة، فيقول: "وكيف تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وهي جاهلة بالمعروف والمنكر؟! فتعليمها واجب ليقوم بهذا الواجب العام" (رشيد رضا، تفسير المنار، ج ١٠، ص ٥٠٣).

الدلالة التربوية: يقدم الزحيلي من خلال هذه الآية رؤية متكاملة لدور المرأة التربوي، حيث لا يحصره داخل البيت فقط، بل يمتد ليشمل المجتمع، خاصة في مجالات التعليم والدعوة والإصلاح القيمي. وهذا الطرح يعكس الرؤية الوسطية التي توازن بين المشاركة المجتمعية والاستقرار الأسري، مع الالتزام بضوابط شرعية تحافظ على القيم والأولويات (الزحيلي، التفسير المنير، ج ١٠، ص ١٣٠).

## خامساً: خلاصة المقارنة بين المرجعيتين التفسيريتين

يتضح من خلال هذا التحليل التفصيلي أن كلاً من المفسرين ينطلق من مرجعية مختلفة في مقارنة النصوص القرآنية المتعلقة بالمرأة:

١. مرجعية التسنيم: الحكمة التكوينية والنيابة الإلهية يستند جوادي أملي في تفسيره إلى فلسفة الخلق وعلم الأنتروبولوجيا القرآنية. حجته غالباً ما تكون وجودية-فلسفية، مفادها أن "الأمومة نيابة عن الربوبية، وهي سر استمرار الوجود الإنساني السوي" (الجوادي الأملي، المرأة في آينة جلال وجمال، ص ١٥٠). هذه الرؤية تجعل من المرأة في دورها التربوي ليست مجرد مربية بالمعنى التقليدي، بل هي "نائبة عن المربي الحقيقي" وهو الله تعالى، مما يضفي على عملها التربوي قدسية ومغزى كونياً.

## ٢. مرجعية المنير: المقاصد والمصالح الاجتماعية

يستند الزحيلي في تفسيره إلى المقاصد الشرعية والمصالح الاجتماعية. فهو يربط الأحكام المتعلقة بالمرأة بمقاصد الشريعة الكبرى: حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ النسل، حفظ العقل، حفظ المال. ويرى أن الدور التربوي للمرأة هو أداة مركزية لتحقيق هذه المقاصد، ولذلك يرفض أي قراءة

فقهية تؤدي إلى تعطيل هذا الدور أو تهيمشه باسم الأعراف أو التقاليد البالية (الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ج ٢، ص ١٠٢٣). يقدم هذا التحليل التفصيلي نموذجين متكاملين للتعامل مع النص القرآني في قضية المرأة التربوية. فبينما يركز "التسنيم" على البعد الوجودي والغائي، مركزاً على "لماذا" هذا الدور أساسي ومقدس، يركز "المنير" على البعد التنظيمي والمقاصدي، مركزاً على "كيف" يمكن تنظيم هذا الدور في المجتمع المعاصر. وكلا الرؤيتين تشكلان إضافة نوعية للفكر التربوي الإسلامي، وتفتحان آفاقاً واسعة لمزيد من البحث والدراسة.

خامساً: خصوصية كل تفسير وإسهاماته

١. خصوصية تفسير "التسنيم" يتميز تأسيس جوادى آملى بعدة خصائص تجعله فريداً: التأسيس التوحيدي العميق الذي يختلف عن التبريرات الاجتماعية أو النفعية البحتة لدور المرأة. فالدور التربوي ليس لأنها "أضعف" أو لأن المجتمع يحتاجها فحسب، بل لأنها "مخلوق مكرم"، و"خليفة"، و"نائبه عن الرب" في هذه المهمة. هذا يمنح الدور عمقاً روحياً ومغزياً وجودياً. كما يقدم التسنيم رؤية متكاملة تجمع بين الاعتراف بقيمة المرأة الإنسانية المطلقة وخصوصية وظيفتها التربوية التكاملية .

٢. خصوصية تفسير "المنير" يكمن تميز تفسير المنير في واقعيته ومرونته، وقدرته على تقديم إجابات عملية ومباشرة لقضايا العصر الملحة من داخل التراث الفقهي السني الموسع، مع الحفاظ على الثوابت. يقدم الزحيلي نموذجاً لتفسير "تفاعلي" مع المجتمع، يجيب على سؤال "كيف" ننظم دور المرأة التربوي في المجتمع المعاصر. كما يتميز بالاهتمام بالمقاصد والفوائد الاجتماعية، وربط الأحكام بالواقع المعيش .

**خاتمة:** نحو رؤية تكاملية

تؤكد هذه المقارنة أن الاختلاف بين الرؤيتين هو اختلاف في المنطلقات والمناهج ودرجة التركيز، وليس بالضرورة اختلافاً في النتائج الأساسية حول قدسية الأسرة وأهمية دور المرأة التربوي. يمكن القول إن "المنير" يجيب على سؤال "كيف" ننظم دور المرأة التربوي في المجتمع المعاصر، بينما يجيب "التسنيم" على سؤال "لماذا" هذا الدور أساسي ومقدس. الرؤية المتكاملة لقضية المرأة التربوية في الإسلام قد تحتاج إلى الجمع بين عمق "التسنيم" في تأصيل القيمة والماهية، ومرونة "المنير" في تنظيم التفاصيل والتكيف مع المستجدات الاجتماعية، في إطار الوفاء الثابت للمقاصد العليا للشريعة: حفظ النسل، وعمارة الأرض، وتحقيق العبودية لله. في ختام هذه الدراسة المقارنة بين تفسيري "التسنيم" للعلامة جوادى الأملي و"المنير" للدكتور وهبة الزحيلي حول دور المرأة التربوي، يمكن استخلاص النتائج التالية:

## نتائج الدراسة

١. الاتفاق على مركزية الأسرة: يتفق التفسيران على أن الأسرة تمثل النواة الأساسية للعملية التربوية، وأن المرأة تحتل فيها موقعاً محورياً، ولا سيما بوصفها أمّاً. فكلاهما يرى في المرأة "المدرسة الأولى" التي يتعلم فيها الطفل المبادئ والقيم، وأن صلاح المجتمع مرتبط ارتباطاً وثيقاً بصلاح الأسرة.

٢. الاتفاق على البعد الأخلاقي: يؤكد كلا المفسرين أن الغاية القصوى للتربية هي بناء الإنسان الأخلاقي الصالح المتخلق بخلق الإسلام. فالتربية عندهم ليست مجرد نقل للمعلومات، بل هي عملية بناء للشخصية في أبعادها الروحية والنفسية والاجتماعية.

٣. الاختلاف في المنطلقات الفكرية: ينطلق "التسنيم" من أرضية فلسفية عرفانية تؤكد أن التربية البشرية هي "نيابة ووكالة" عن التربية الإلهية، مما يضيف على الدور التربوي للمرأة قدسية ومغزياً وجودياً عميقاً. بينما ينطلق "المنير" من أرضية اجتماعية فقهية تركز على تنظيم الأسرة والمجتمع وفق المقاصد الشرعية والمصالح المرسلّة.

٤. الاختلاف في فهم القوامة: يقدم "المنير" تفسيراً مؤسسياً للقوامة كرئاسة أسرة وآلية تنظيمية، بينما يقدم "التسنيم" تفسيراً تكاملياً يجعلها قائمة على التمايز الوظيفي الفطري، محاولاً تجريد المفهوم من أي دلالة تسلطية.

٥. الاختلاف في درجة الانفتاح على الواقع: يتميز "المنير" بمرونة أكبر في التعامل مع متغيرات العصر كعمل المرأة وتعليمها، بينما يبدو "التسنيم" أكثر توجساً من إملاءات العصر، مؤكداً على الأولويات الوجودية للمرأة قبل الانفتاح على المشاركة الاجتماعية.

## المصادر والمراجع القرآن الكريم.

ابن عاشور، محمد الطاهر. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. تونس: دار التونسية للنشر.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. ٢٠٠٨. *تعريف الدارسين بمناهج المفسرين*. دمشق: دار القلم.

الذهبي، محمد حسين. بيتا. *التفسير والمفسرون*. القاهرة: مكتبة وهبة.

- الراشد، أحمد. ١٤٣٤هـ. "التفسير الاجتماعي للقرآن: قراءة في منهج وهبة الزحيلي". مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية. الرومي، فهد بن عبد الرحمن. ١٩٨٣. منهج المدرسة العقلية في التفسير. الرياض: مكتبة الرشد.
- الزحيلي، وهبة. ١٩٨٥. الفقه الإسلامي وأدلته. دمشق: دار الفكر.
- الزحيلي، وهبة. ١٩٨٦. أصول الفقه الإسلامي. دمشق: دار الفكر.
- الزحيلي، وهبة. ١٩٩٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دمشق: دار الفكر.
- رشيد رضا، محمد (ومحمد عبده). ١٩٩٠. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- شرف الدين، حسين. ٢٠١١. الاجتهاد والتجديد في فكر السيد محمد حسين فضل الله. بيروت: مركز الحضارة.
- الصادقي، هادي. ١٤٣٥هـ. "المنهج الفلسفي في التفسير: نموذج تفسير التسنيم". مجلة نصوص معاصرة. عودة، عبد القادر. ٢٠٠٠. الإسلام وأوضاعنا السياسية. القاهرة: دار الشروق.
- القرضاوي، يوسف. ١٩٩٥. فقه الأولويات. القاهرة: مكتبة وهبة.
- القرضاوي، يوسف. ٢٠٠٢. نحو فقه للتربية الإسلامية. القاهرة: مكتبة وهبة.
- أيازي، السيد محمد علي. ٢٠١٠. المفسرون: حياتهم ومنهجهم. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
- الجوادى الأملي، عبد الله. ١٣٨٢ش. تفسير تسنيم. قم: إسرائ.
- الجوادى الأملي، عبد الله. ٢٠٠٥. المرأة في آئنة جلال وجمال. قم: إسرائ.
- الحسيني الزنجاني، إسماعيل. ١٣٩٩هـ.ش. "المنهج الموضوعي في تفسير التسنيم للشيخ جوادى أملي". مجلة آفاق الحضارة الإسلامية. بيروت فر، سهيلا، وطاره ناجي صدره. ١٤٣١هـ. "مكانة الرواية في تفسير التسنيم". مجلة حديث بجوهي.
- حماده، إسماعيل. ٢٠٠٧. المرأة في فكر رشيد رضا ومشروعه النهضوي. عين مليلة: دار الهدى.
- الخضر، أحمد. ١٩٩٨. قضايا المرأة في تفسير المنار: دراسة تحليلية نقدية. القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- مكارم الشيرازي، ناصر. ٢٠٠٠. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. قم: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (ع)